

تمهيد

نبذة عن تطور القاهرة العمرانى فى العصرين المملوكى والعثمانى:

بلغت القاهرة القمة فى تطورها العمرانى فى العصر المملوكى (٦٤٨ - ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧م)، وقد اتسع مدلول لفظ القاهرة بين المؤرخين والرحالة وكتاب الخطط فى العصر المملوكى ليشمل المدينة المسورة التى بناها الفاطميون، وظواهرها أى الخطط والحارات التى بنيت خارج الأسوار، وكذلك شمل العواصم القديم الفسطاط، والعسكر، والقطنع، بالإضافة إلى القلعة، إلى جانب الضواحي الشمالية، وذلك لاتصال التعمير فى كل هذه الأنحاء حتى غدت القاهرة كبرى مدن العالم آنذاك.

ومنذ أوائل الدولة المملوكية زاد عدد سكان القاهرة نتيجة للهجرات التى جاءت من شرق العالم الإسلامى فراراً من المغول، فوجب ذلك زيادة مساحة القاهرة، ويتضح ذلك جلياً فى سلطنة الملك الظاهر بيبرس البندقدارى (٦٥٨ - ٦٧٦هـ / ١٢٦٠ - ١٢٧٧م) حيث بنى فى أيامه مالم بين فى أيام الخلفاء المصريين (الفاطمين) ولا ملوك بنى أيوب من الأبنية والرباع والخانات والقواسير والدور والمساجد والحمامات، من قريب مسجد التين إلى أسوار القاهرة إلى الخليج وأرض الطبالة، واتصلت العمائر إلى باب المقسم إلى اللوق إلى البورجى، ومن الشارع إلى الكبش وحدرة ابن قميحة إلى تحت القلعة ومشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها إلى السور القراقوشى^(١).

وكان الملك الظاهر بيبرس قد أمر فى سنة ٦٦٠هـ / ١٢٦١م بعمارة الجانب الغربى للخليج بالدور الكثيرة فى منطقة باب اللوق لإسكان قسم من جيش هولاكو قائد المغول فر إلى مصر فى تلك السنة^(٢).

(١) ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف، ت ٨٧٤هـ / ١٤٧٠م)، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، (طبعة دار الكتب، ج ٧) ص ١٩٦ - ١٩٧.

مسجد التين يقع الآن داخل سراى القبة، وأرض الطبالة هى الفجالة حالياً، وباب المقسم موقعه الآن فى ميدان رمسيس. والبورجى موقعه ميدان التحرير الآن، والشارع المذكور المقصود به شارع المعز لدين الله، وحدرة ابن قميحة تقع بزيتهم حالياً، وقد تناولت تلك الأماكن بالتفصيل تباعاً.

(٢) المقريزى (تقى الدين أحمد بن على، ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) المواعظ والاعتبار يذكر الخطط والآثار المعروفة بالخطط، طبعة بولاق ١٢٧٠هـ ج ٢، ١١٧، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، سعيد عاشور، طبعة دار الكتب (١٩٣٤ - ١٩٧٤م)، ج ١، ص ٨١٢.

وقد أهتم الظاهر أيضاً بمنطقة جنوب غرب القاهرة ينما عمر قناطر السباع على الخليج ليسهل العبور بين ضفتى الخليج ويسر الطريق بين القاهرة ومصر القديمة، كما عمّر الجسر الأعظم الفاصل بين بركتى الفيلى وقارون جنوبي القاهرة حتى يسر الطريق إلى القلعة^(١).

وقد أهتم الظاهر ببيرس بالقلعة اهتماماً كبيراً فعمر بها عمارات عظيمة جعلتها أشبه بالمدينة، واهتم بالأسواق حولها وخصوصاً سوق الخيل بالرميلة وأنشأ به حماماً لولده الملك السعيد^(٢).

وقد عمل الظاهر على اتصال العمارة من باب زويل إلى القلعة، فأنشأ فى تلك المسافة بيوتاً للأمرء، يسكنوها بحاشيتهم واتباعهم لأنه «كان يكره سكنى الأمير بالقاهرة مخافة من حوآشيه على الرعية^(٣)».

وعمل الظاهر أيضاً على تعمير القاهرة خارج سورها الشمالى، فأسس فى سنة ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م جامعة الكبير شمال الحسينية، وأنشأ زاوية الشيخ خضر على الخليج بجواره، وبنى حماماً وطاحوناً وفرناً^(٤)، وبدأ حى الحسينية يتطور منذ أيامه حتى بلغ أوج ازدهاره فى أيام سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الثالثة (٧٠٩-٧٤٠هـ / ١٣١٠-١٣٤١م).

أما عن القاهرة الفاطمية فكانت مكتملة العمارة فى ذلك الوقت وإن ما كان يحدث بها إما مجرد ترميم أو تعمير لخرائب أو هدم وإعادة بناء، وقد عمر بها الظاهر مدرسة عظيمة ذات تخطيط جديد اتخذ نبراساً لما بنى بعدها من مدارس، وكان لها دور علمى كبير فى العصر المملوكى^(٥)، بالإضافة لذلك فقد جدد الظاهر بعض الجوامع السابقة مثل جامع الفكهنانى الذى بناه الخليفة الفاطمى الظافر (٥٤٤-٥٤٩هـ / ١١٤٩-١١٥٤م)، وجدد الجامع الأزهر، وأعاد إليه خطبة الجمعة بعد أن توقفت مائة عام، وقد اهتم ببيرس بجزيرة الروضة ورم المقياس بها^(٦).

وحظى حى الحسينية بعناية كبرى أثناء سلطنة الملك العادل كتبغا (٦٩٤-٦٩٦هـ / ١٢٩٤-١٢٩٦م)، فقد أقيم به الكثير من الدور والمنشآت الدينية والاجتماعية، والأسواق العظيمة حينما أنزل الملك العادل به مهاجرين من المغول المعروفين بالاوراتية فى سنة ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م^(٧).

(١) انظر بالتفصيل فيما يلى، ص ٢٧٨. (٢) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٧، ص ١٩١.

(٣) نفس المصدر والصفحة.

(٤) المقرئى، الخطط، ج٢، ص ٢٩٩، ٤٣٠، ابن تغرى بردى، النجوم، ج٧، ص ١٩٢.

(٥) المقرئى، الخطط، ج٢، ص ٣٧٨-٣٧٩.

(٦) ابن تغرى بردى، النجوم، ج٧، ص ١٩٢.

(٧) المقرئى، الخطط، ج٢، ص ٢٢-٢٣، السلوك، ج١، ص ٨١٢.

وقد بلغت القاهرة أقصى اتساع لها في فترة حكم الملك الناصر محمد بن قلاوون الثالثة، فمعاصره المؤرخ «ابن فضل الله العمري» يذكر أن حاضرة (عاصمة) مصر في وقته كانت تشمل ثلاث مدن عظام صارت كلها مدينة واحدة هي الفسطاط والقاهرة وقلعة الجبل^(١).

ويعتبر عصر الناصر محمد هو العصر الذهبي لتعمير القاهرة بل لمصر كلها، وظلت حدود مدينة القاهرة دون تغيير كبير من أيامه حتى نهاية العصر العثماني، وقد امتد العمران بالقاهرة شمالاً عبر الصحراء وفي الشمال الغربي وفي غربي الخليج والأرض التي اتصلت به من طرح النيل، ومن جنوب القاهرة حتى اتصلت بالقلعة ومصر القديمة والسيدة نفيسة، وقد قال «المقريزي» عن امتداد القاهرة أيام الناصر محمد « واتصلت عمائر مصر والقاهرة فصار بلدًا واحدًا يشتمل على البساتين والمناظر والقصور والدور والرباع والقياس والأسواق والفنادق والخوانات والحمامات والشوارع والأزقة والدروب والخطط والحارات والأحكار والمساجد والجوامع والزوايا والربط والمشاهد والمدارس والتراب والخوانيت والمطابخ والشون والبرك والخلجان والجزائر والرياض والمنتزهات، متصلًا جميع ذلك ببعضه ببعض من مسجد تبر إلى بساتين الوزير قبلى بركة الحبش ومن شاطئ النيل بالجيزة إلى الجبل المقطم»^(٢).

وقد بلغت جملة الاحكار أيام الناصر محمد أكثر من ستين حكرًا وبلغ عدد المساجد الجامعة التي بها خطبة الجمعة أكثر من ثلاثين جامعًا^(٣)، وعمرت المناطق شمال وشمال غرب القاهرة عمارة عظيمة وخصوصًا حي الحسينية الذي صار من أكثر الاخطاط ازدحامًا نظرًا لكثرة المهاجرين إليه من المشرق الإسلامي، ولهذا أقيم به أيام الناصر خمسة جوامع بخطبة^(٤)، وأيضًا شيد الناصر محمد عدة قناطر على الخليج لربط الحسينية بكوم الريش (الشرابية حالياً)، وأرض الطبالة في البر الغربي للخليج كان لها أثر عمراني كبير، وهذه القناطر هي القنطرة الجديدة تليها قناطر الأوز ثم قنطرة بنى وائل^(٥).

أما عن التعمير على الجانب الغربي للخليج فيما بينه وبين النيل فكان على أبداع ما يكون، فحكرت البساتين والأرض الزراعية على طول الخليج وعمرت عمارة حسنة امتدت من قناطر السباع (ميدان السيدة زينب) إلى البركة الناصرية إلى اللوق إلى المقس (الأزبكية)، وفي سنة

(١) ابن فضل الله العمري (شهاب الدين أحمد بن يحيى، ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) مسالك الأبحار في ممالك الامصار، تحقيق أمين فؤاد سيد، المعهد العلمي للآثار الشرقية بالقاهرة، ١٩٨٢م، ص ٢٠، ٧٩.

(٢) الخطط، ج١، ص ٣٦٥.

(٣) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٩، ص ١٩٨.

(٤) المقريزي، الخطط، ج١، ص ٣٦٥، ج٢، ص ٢٣، ٢٤٥، ٣١٠، ٣١٢، ٣٢٥.

ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٩، ص ٢٠٠، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦.

(٥) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ١٤٧ - ١٤٨. وانظر بالتفصيل الفصل الرابع من هذه الرسالة.

٧٢٠هـ / ١٣٢٠م حفر الناصر محمد البركة الناصرية على الجانب الغربى للخليج ، فحكر الناس الأرض حولها وبنوا عليها الدور العظيمة (١).

وفى سنة ٧٢٥هـ / ١٣٢٤م حفر الناصر محمد الخليج الكبير عند جامع الظاهر بيبرس ، وقد نتج عن ذلك حكر العديد من الأراضى الزراعية الواقعة بين الخليجين (المصرى والناصرى) ، وكذلك التى بين الخليج الناصرى والنيل ومنحت للأمراء الذين عمروا بها الدور والأسواق والجوامع والحمامات والشون (٢).

وأنشأ الناصر القناطر على الخليجين حتى جعل البر الغربى للخليج سهل الأتصال بالقاهرة الفاطمية التى ظلت المركز التجارى الرئيسى (شكل ١).

وفى أيام الناصر محمد أيضا طرح النيل أرضا جديدة فعمرت الخطط الحسنة والموانئ الكبيرة عليه وامتدت من أثر النبى جنوبا مرورا بمصر القديمة فمنشأة المهرانى فبولاق حتى منية السيرج شمالا ، وكانت تلك الأراضى قبل ذلك تلالا ورمالا وحلفاء ، فصار لا يرى قدر ذراع إلا وفيه بناء قام به كثير من الأمراء تقربا منهم للسلطان (٣) . فالناس على دين ملوكهم ، فعمرُوا أسوة بالناصر محمد راعى العمارة والتعمير ، وعمل الناصر محمد على إيجاد تعمير ترفيهى غربى الخليج وعلى النيل يتمثل فى الميادين مثل إنشائه الميدان السلطانى على النيل وميدان المهارى بجوار البركة الناصرية وغيرها (٤).

وامتدت يد التعمير أيام الناصر محمد أيضا إلى المنطقة خارج السور الجنوبى للقاهرة الفاطمية فعمر خط تحت الربع وحول بركة الفيل ، وعمرت المنطقة ما بين باب زويلة إلى القلعة بدور كبار الأمراء ، وكذلك ما بين باب زويلة إلى باب الوزير واتصلت تلك العمائر والخطط حتى القلعة (٥).

ولاقت القلعة عناية كبيرة من الناصر محمد فعمر بها أهم منشآتها فى العصر المملوكى ، مثل الجامع والقصر الأبلق والأيوان والقصور الجوانية والسبع قاعات والطبلخاناه تحت القلعة

(١) المقرئى ، الخطط ، ج٢ ، ص ١٦٥ ، وانظر بالتفصيل الفصل الثالث من هذه الرسالة .

(٢) المقرئى ، الخطط ، ج١ ، ص ٣٦٥ ، ج٢ ، ص ١٣١ ، وعن الاحكار الواقعة على الخليج بالتفصيل ، انظر : الخطط ، ج٢ ، ص ١١٤ - ١٢١ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج٩ ، ص ١٨٢ - ١٨٣ .

(٣) المقرئى ، الخطط ، ج١ ، ص ٣٦٥ . السلوك ، ج٢ ، ص ٥٣٩ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج٩ ، ص ١٨٢ - ١٨٥ .

(٤) انظر بالتفصيل الفصل الخامس .

(٥) المقرئى ، الخطط ، ج١ ، ص ٣٦٥ .

وأحواش الغنم والبقر وغير ذلك^(١)، وعمر الناصر أيضا ميدان الرملة والميدان السلطاني تحت القلعة، ومد إليهما الماء عن طريق مجرى العيون^(٢)، وانتعشت الأسواق التي ارتبطت بالنظام العسكري المملوكي حول ميدان الرملة مثل سوق السلاح وسوق الخيل وسوق الخيم، وقد أقيم حول الميدان عدد من القصور للأمراء، وعمر الطريق من الميدان إلى قناطر السباع بالقصور والمنشآت الدينية، فأكتظت خطط الصليبية وابن طولون والجسر الأعظم بالعمائر الفخمة، وكذلك أقام الناصر عدة مناظر وقصور على هضبة الكيش^(٣).

وعمرت المنطقة فيما بين قبة الأمام الشافعي إلى باب القرافة (ميدان السيدة عائشة حاليا) بالعمائر الجنائزية والدينية كالقباب والتراب والخانقاوات والمساجد، وانتشرت العمائر على امتداد القرافة الكبرى حتى بركة الحبش جنوبا^(٤).

أما عن الجانب الشرقي للقاهرة فيما بين قرافة السيوطي جنوبا وبين خانقاة فرج بن برفوق شمالا فكان التعمير بها نواة للمجمعات الدينية والجنائزية التي حفلت بها المنطقة عقب ذلك، وقد أتى اهتمام الناصر محمد لتلك المنطقة لأنه كانت مسار الطريق السلطاني المستخدم للسفر للحجاز والشام.

ونظرا لانتساع القاهرة الكبير أيام الناصر محمد فقد أعقبه بلا شك زيادة سكانية كبيرة، وإن كنا لم نعلم احصاءا سليماً للسكان في العصر المملوكي، فقد قدر البروفيسير اندريه ريمون عدد سكان القاهرة زمن الناصر محمد بخمسمائة أو ستمائة ألف نسمة^(٥)، ولكن نظرا لانتشار الأوبئة والطواعين في ذلك العصر فقد انخفض عدد السكان بنسبة كبيرة ولاسيما سنة ١٣٤٨هـ/ ١٣٤٨م في ذلك الوباء الأسود الذي ساد العالم آنذاك، وأثر بشكل كبير على دول حوض البحر الأبيض المتوسط وقد عرف هذا الوباء بالفناء الكبير وانخفض عدد سكان القاهرة بنسبة كبيرة في تلك السنة^(٦). وكذلك انخفض عدد سكان القاهرة ومصر كلها بنسبة كبيرة في أعقاب الوباء الذي حدث أيام الأشرف شعبان سنة ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م واستمر مدة (١) كازانوف، تاريخ ووصف قلعة الجبل، (القاهرة، ١٩٧٤)، ص ١١٥ - ١٥١.

(٢) انظر بالتفصيل ميدان الرملة في الفصل الخامس.

(٣) المقریزی، السلوك، ج٢، ص ٥٤٠، وعن المناظر بالتفصيل، انظر الفصل السادس من هذا الكتاب.

(٤) المقریزی، الخطط، ج٢، ص ٥٤٠، وانظر بالتفصيل: محمد حمزة، قرافة القاهرة في عصر سلاطين المماليك، ماجستير «مخطوطة»، (كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٦).

(٥) Raymond, A., " La Population Du Cairo, De Maqrizi á La Description de L'Egypte " (٥) B E O (1975), P. 251.

(٦) المقریزی، الخطط، ج١، ص ٣٣٩، ٣٦١، ٣٦٥، السلوك، ج٢، ص ٧٥٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٦، ٧٧٨، ٧٨٩، ٧٨٠، ٧٨٧، ابن تغرى بردى، النجوم، ج١٠، ص ١٥٩ - ٢٢١. ابن إياس (أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس، ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة ١٩٨٢، ج١، ق ١، ص ٥٢٧ - ٥٣٧.

أما أخطر الأزمات التي تعرضت لها القاهرة فكانت حسبما ذكر المقرئى هي المحن والحوادث والأوبئة التي داهمتها سنة ٨٠٦هـ / ١٤٠٣م وما أعقبها من سنين، ففي تلك السنة حدثت أزمات اقتصادية كبيرة نتيجة لعدم وفاء النيل وانخفاضه الذي أعقبه غلاء كبير في الأسعار، وصاحبه أوبئة عديدة لانتشار الفتن والاضطرابات والصراعات الداخلية واغتصاب الأوقاف بالقاهرة بالإضافة إلى ذلك كانت الأخطار محدقة بالشام من قبل الدولة التيمورية، وكانت هذه السنة ٨٠٦هـ / ١٤٠٣م بداية لخراب كبير للقاهرة فخربت معظم الخطط والاحكار التي حدثت أيام الناصر محمد، وخربت الأحياء شمال القاهرة وعلى الأخص حى الحسينيه وهجر السكان منه وكذلك كثير من الأراضى غربى الخليج تجاه اللوق وكانت القاهرة قد فقدت نحو ثلثى سكانها (٢).

ولكن القاهرة تغلبت على المحن التي ألمت بها وعاد إليها بعض رونقها فى سلطنة الملك المؤيد شيخ (٨١٥ - ٨٢٤هـ / ١٤١٣ - ١٤٢١م) فأعيدت الحياة للخطط على شاطئ النيل وصارت بولاى بلدة عظيمة وميناءً كبيراً اضمحل معه أمر ميناء القسوط (٣).

وعاد للقاهرة وجهها المشرق الذي كانت عليه أيام الناصر محمد بن قلاوون أثناء سلطنة الأشرف قايتباى (٧٨٣ - ٩٠١هـ / ١٤٦٧ - ١٤٩٦م) الذي عمر بالقاهرة الكبرى العديد من المنشآت الهامة (٤)، وكذلك كان لأمرائه دور فى تعمير ضواحي شمال القاهرة وغربها، فقد أنشأ الأمير يشبك من مهدى الدوادار انشاءات عظيمة أحيت المنطقة وصارت من أعظم متزهات مصر، فقد أمر يشبك بازالة القبور والدور التي كانت منتشرة فى المنطقة الواقعة بين الحسينية والريمانية (العباسية) وأقام مكانها قبة ومدرسة وحوضاً لشرب الدواب وغرس بها حدائق وبساتين للنزهة، وقد بقى من هذه المجموعة القبة المعروفة بقبة الفداوية الواقعة بشارع العباسية (أثر رقم ٥)، وهذه القبة دليل على عظمة همة الأمير يشبك، وفى ضواحي القاهرة الشمالية بنى يشبك مجموعة معمارية كبيرة جنوب المطرية بقى منها القبة (أثر رقم ٤)، وعرف الحى الذي بها حى القبة، وكانت تلك المنطقة متنزها جميلاً فى العصر المملوكى (٥).

_____ وفي أيام السلطان قايتباى أيضاً امتد التعمير للضفة الغربية للمخلى حيث أنشأ الأمير (١) المقرئى، الخطط، ج١، ص ٣٣٩. ابن تغرى بردى، النجوم، ج١١، ص ٦٦.

(٢) كانت هذه الأزمات التي بدأت سنة ٨٠٦هـ / ١٤٠٣م هى الدفاع للمقرئى لتأليف كتاب إغاثة الأمة بكشف الغمة. وانظر ما بلى ص ٤٨.

(٣) انظر بالتفصيل الفصل الأول من الرسالة.

(٤) عن منشآت قايتباى بالتفصيل انظر: حسنى نويصر، مجموعة سبل السلطان قايتباى بمدينة القاهرة، ماجستير، مخطوط، (كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٧٠م). منشآت السلطان قايتباى الدينية بمدينة القاهرة، دكتوراه مخطوط، (كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٧٥م).

(٥) السخاوى (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٨م)، الضوء اللامع لأهل القرن =

الأتابك أزيك من ططخ الأزيكية، فقد حفر البركة وأجرى إليها الماء من الخليج الناصري وأنشأ حولها القصور والقاعات والدور والمنشآت التجارية والاجتماعية مثل القياصر والحمامات، وأنشأ بها مسجدا كبيرا، واهتم ثروة القاهرة وأعيانها بالتعمير بالأزيكية فصارت من أعمر بقاع مصر^(١).

القاهرة فى العصر العثمانى

لم يطرأ تغيير محسوس أو تبديل ملفت للنظر فى تخطيط أو مساحة القاهرة طوال القرون الثلاثة التى حكمها العثمانيون عما كانت عليه أيام المماليك، ولم تساير الزمن فى تقدمه بل ظلت على حالها ولا نغالى إذا قلنا أنها رجعت الفهقرى وفقدت بريقها ورونقها وجمالها، ولم يعمل العثمانيون على تطويرها لتفشى الفساد الإدارى والسياسى أيامهم، إلى جانب عامل هام أثر فى حياة القاهرة وتطورها فى مصر كلها ألا وهو العامل الاقتصادى، إذ يرجع تردى الأوضاع الاقتصادية بمصر إلى ما قبل دخول العثمانيين مصر بقليل وظهر أثره جليا فى عهدهم، وذلك عندما أكتشف طريق رأس الرجاء الصالح فى فترة حكم الغورى فتحول طريق التجارة عن مصر آنذاك، وكان حكام مصر يجيئون أموالا طائلة من المكوس والضرائب والاحترار فى تجارة الشرق إلى أوروبا، وتأثرت مالية الدولة كثيرا بفقدانها ذلك المورد الهائل مما حدا بالغورى أن يعوض تلك الخسارة على حساب كاهل الشعب المصرى.

وأثناء الغزو العثمانى لمصر تعرض بعض أحياء القاهرة للأضرار الناتجة عن المعارك بها، بالإضافة إلى نهب الجيش وتخريبهم لأحياء وخطط كانت فى غاية العمارة مثل الناصرية والأزيكية إلا أن تلك الحالة لم تدم طويلا فسرعان ما تم اصلاح ذلك، وحل العثمانيون محل أمراء وجنود المماليك فى دورهم وأملاكهم بالقاهرة.

وقد زار مصر فى بداية العصر المملوكى الرحالة «الحسن بن الوزان المعروف «بليون الأفريقى» فوصف القاهرة وصفاً ليس به أى تغيير عما كانت عليه أيام الغورى، وجاء

= التاسع، نشر مكتبة القدس، القاهرة، ١٣٥٣هـ - ١٣٥٥هـ، ج١، ص ٢٧٤. ابن ياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ١٦٠.

Abouseif, D., " The Northe Eastern Extension of Cairo Under the Mamluk. An Isl, XVII (1981), PP. 171 - 188., id., " Four Domes of the Late Mamluk Period : An Isl XVII (1981) P. 193.

وعن أعمال يشبك بالتفصيل انظر : سامى عبد الحليم، الأمير يشبك من مهدى وأعماله المعمارية بالقاهرة، ماجستير مخطوط، (كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٦٩م).

(١) عن الأزيكية بالتفصيل انظر الفصل الثالث ص ٢٠٩.

وصفه للحياة الاجتماعية بها فى غاية الدقة (١).

وقد حافظت القاهرة على شكلها ومساحتها طوال العصر العثمانى ، وأدخل العثمانيون بعض الطرز المعمارية الجديدة على العمائر مثل المدارس والمساجد والأسبلة والأضرحة إلا أن الطرز المحلية ظلت سائدة فى الأغلب .

وقدم الاهتمام فى العصر العثمانى ببعض أحياء القاهرة مثل الأزبكية بركة الفيلى (٢) والجانب الغربى للخليج ، وقد أزهرت بولاق بشكل واضح فى العصر العثمانى .

أما عن صورة القاهرة حين قدمت الحملة الفرنسية إلى مصر سنة ١٢١٣هـ / ١٧٩٨ ، فبالنظر إلى الخريطة التى وضعوها لها سنة ١٢١٥هـ / ١٨٠٠م ، نجد أن حدها الشمالى يمتد بين الحسينيه وباب الحديد ، والحد الجنوبى بين القلعة إلى باب عرب يسار إلى باب القرافة بالسيدة عائشة إلى جامع السيدة نفسية فباب طولون فباب البغالة فباب السيدة زينب ، والحد الغربى من باب السيدة زينب إلى الناصرية فباب الشيخ ريحان فباب اللوق إلى الأزبكية إلى باب الحديد ، والحد الشرقى يمتد من القلعة فباب الغرب فباب الحسينية .

وكان موقع القاهرة يبعد أكثر من ألف متر عن شاطئ النيل وبينها وبينه مزارع ، وكانت بولاق ومصر القديمة ضاحيتين مستقلتين فقد كان الطريق إليهما يمر بالمزارع والحدائق ، وكان على شاطئ النيل الشرقى بعض مباني قديمة كقصر إبراهيم بك (قصر العينى) تجاه الروضة وبجواره بيت محمد كاشف الأرنؤوطى وعلى شماله بيت مصطفى بك .

وقد اتفق أكثر الرحالة الذين زاروا مصر فى العصر العثمانى أن شوارع القاهرة كانت ضيقة كثرة التعاريج ، وكان أطولها الشارع الموصل بين باب الحسينية إلى باب السيدة نفيسة وطوله أربعة آلاف وستمائة وأربعة عشر مترا ، ولم يكن بالقاهرة سوى أربعة ميادين فسيحة هى ميدان قرة ميدان تحت القلعة وميدان الرملة بجواره وميدان بركة الفيلى (بركة الفيلى نفسها) وميدان الأزبكية (بركة الأزبكية نفسها) (٣) .

وقد كانت القاهرة فى ذلك الوقت باستثناء ضاحيتى بولاق ومصر القديمة يبلغ محيطها ٢٤ ألف متر بينما تبلغ مساحتها ٧٩٣ر٠٤ هكتارا (١) وإذا أضيفت إليها مصر القديمة وبولاق

(١) ابن الوزان (الحسن بن محمد الوزان الفاسى المعروف بليون الأفريقى ، ت بعدة ٩٥٧هـ / ١٥٥٠م) ، وصف أفريقيا ، ترجمة عن الفرنسية وحققه محمد حجبى ، ومحمد الأخضر ، الطبعة الثانية ، (المغرب ، ١٩٨٣) ، ج٢ ، ص ٢٠٣-٢٢١ .

(٢) انظر بالتفصيل الفصل الثالث من هذه الرسالة .

(٣) عبد الرحمن زكى ، القاهرة تاريخها وأثارها ، ٩٦٩هـ / ١٨٢٥م ، من جوهر القائد إلى الجبرتى المؤرخ ، (الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦) ، ص ٢٤٩ .

تصل مساحتها إلى ٨٨٣ر٨ هكتارا، وكانت القاهرة مضافة إلى مينائها تفوق في الحجم كل العواصم الأوروبية فيما عدا لندن وباريس^(٢). وقد قدر عدد سكان القاهرة في أيام الحملة الفرنسية بمائتى وستين ألف نسمة.

وقد تعرضت أحياء القاهرة للتخريب نتيجة ثورتى القاهرة ورد الفعل الفرنسى لهما إلا أنها رمت بعد ذلك، وأدخل الفرنسيون بعض التنظيمات الإدارية على القاهرة بتقسيمها إلى ثمانية أقسام وتوسيع بعض شوارعها وشق شوارع جديدة وادخال العادات الصحية للمدينة من نظافة وتجميل^(٣).

وقاد محمد على باشا الكبير (١٢٢٠ - ١٢٦٥هـ / ١٨٠٥ - ١٨٤٨م) مصر نحو نهضة شاملة وخص القاهرة بنصيب كبير من التقدم، فشقت الطرق الجديدة بها وأدخلت طرز معمارية أوربية جديدة، ورمت مبانيها القديمة وعمرت خرائبها وأزيلت الكيمانات بها، وعمرت مكانها المتنزهاة والحدائق، وبدأت بعض الأحياء فى الأزدهار مثل شبرا التى أمتلأت بالقصور وشقت طرق واسعة مشجرة تؤدى إليها وكذلك منطقة جاردن سيتى، وعمل محمد على باشا مجلسا للأشرف على تجميل القاهرة وتنظيمها.

ثم أخذت القاهرة شكلا جديدا فى عهد الخديو إسماعيل، إذ أنها أصبحت ذات شقين الشق الأول وهو الشرقى يمثل القاهرة القديمة، والشق الآخر غربى الوجهة والطرز لأن الخديوى أدخل الطرز الأوربية فى هذا القسم وعمل الخديو على تنظيم القاهرة وتجميلها فصارت القاهرة ندا لأعظم عواصم أوربا أن لم تكن قد تفوقت عليها بالفعل.

وظل وجه القاهرة منذ عهد إسماعيل إلى منتصف هذا القرن مشرقا بقسميها الشرقى والغربى، إلا أنها نمت واتسعت اتساعا كبيرا فى هذا النصف من هذا القرن وزاد عدد سكانها زيادة عظمتى، ولكن يؤخذ عليها أنها فقدت هويتها وشخصيتها وجمالها فلم تحافظ على طرزها المعمارية الجميلة، وأما أصبحت مبانيها كتلا أسمته متنافرة وحفلت القاهرة الكبرى باحياء عشوائية كبيرة ذات مشاكل جملة أدركت الدولة خطورتها فأعلنت عن خطط لتطويرها، ندعو الله أن نرى آثارها.

(١) الهكتار وحدة مساحة فرنسية تساوى عشرة آلاف متر.

(٢) جومار، وصف مصر (وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل)، ترجمة وتحقيق أمين فؤاد سيد، (نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٨٨)، ص ٧٥.

(٣) جومار، وصف مدينة القاهرة، ص ٩٠.